من الأرض تدعى الطريق. فكيف بك إذا كنت تجري على بساط من زَبَد البحر المتجمّد؟

رحت أهيم على وجهي. فآناً أصعد وآونة أهبط. والثلج يخشخش تحت قدميّ خشخشة فيها من الألحان أعذبها وأطربها؛ والهواء الصّقِعُ يدخل صدري فتصطفق له رئتاي جذلاً وأحسّني كالمحمول على أجنحة، والبساط الأبيض أمامي يتلألأ بأشعّة هي السحر بعينه. فكأنّ مارداً بذر الأرض حجارة كريمة ثمّ صوّب عليها الشمس فاشتعلت بكلّ ألوان قوس قُزَح. حتى إنّني خشيت على عينيّ تبهرهما تلك الألوان المشعشعة وتذهب بنورهما. فكنت بين الفينة والفينة أرفعهما إلى زرقة السماء، أو أمضي بهما بعيداً إلى خضرة الصنوبر والسنديان، أو إلى شواهق الصخور الغبراء التي ما استطاع الثلج أن يلفّها كلّها بوشاحه.

وأين أنا؟ ـ إنّي لأعرف هذه السنديانة العتيّة المطلّة على الوادي. فَلَكَم سندت ظهري إلى جذعها الجبّار، ولكم تفيّأتُ ظلّها الوارف. بل لَكَم أكلتُ من عنب الكرم الذي ما فتئت تهدهده بأغانيها منذ أن غُرسَت جفناته في التراب. وإذنْ فأنا في بقعة من الأرض جوّادة بالخير والبركات. فهي بقعة مقدّسة ومعمل عجيب غريب للعجائب